مداخلات الرفيق محمد علي العربي مسترسلة خلال نقاش تدوينته في مجموعة المكتبة التقدمية في الفايسبوك بتاريخ 15 جويلية 1922

نص التدوينة

نظرا لوقوع خلل فني منع القراء من الاطلاع على مقال الرفيق جوهر الشتيوي عضو المكتب السياسي للوطد الاشتراكي، نقدم نسخة منه.

ولقد أدرجنا ملاحظاتنا في المقال في أول تعليق. ونرجو من القراء المشاركة في نقاش النقاط التي أثارها المقال المذكور.

ولقد كانت ملاحظاتنا في المقال كما يلي:

ملاحظة 1. يحيي المقال فكرة تحريفية صريحة مفادها أن ما كان قائما في الاتحاد السوفييتي منذ اغتيال ستالين وتصفية البلاشفة إلى تاريخ حل الاتحاد إنما هو نظام اشتراكي.

ملاحظة 2. يقدم المقال فكرة مبتذلة عن الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية فيقيم مماثلة تامة بين ذلك الانتقال وبين الانتقال بين أنماط الإنتاج القائمة على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وانقسام المجتمع فيها إلى طبقات اجتماعية متصارعة.

ملاحظة 3. فيما يتعلق بتقييم تجربة بناء الاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية زمن ستالين، لم يحجم المقال عن ترديد الفكرة الانتهازية "الجارية والمعتادة" حول "تعرجات وثغرات وأخطاء" تلك التجربة دون ذكر، أو حتى مجرد تسمية، أمر واحد بعينه من كامل تلك التجربة.

ملاحظة 4. ورغم أن المقال أمعن في تكرار ما هو "جار ومعتاد" حول تجربة بناء الاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، فإنه لم ينبس ببنت شفة حول حال الحركة الشيوعية العالمية إثر اغتيال ستالين وتصفية البلاشفة إلى أيامنا. فلا ذكر لطبيعة الاتجاهات الأيديولوجية والسياسية التي هيمنت على الحركة الشيوعية العالمية وطبعتها بطابعها منذ عقود بأكملها. وعوض ذلك، قدم لنا إشارة باهتة حول كيف أن الاشتراكية-الديمقراطية كانت سندا للرأسمالية. فيا له من اكتشاف عظيم! أما الأمر الجوهري، الأساسي وهو كيف أن الماوية (وحتى التروتسكية بالتوازي) كانت لها مطلق السيطرة على الحركة الشيوعية العالمية فهو أمر لا يكترث له مطلقا!!

ملاحظة 5. إن غض الطرف عن الانتهازية وهيمنها الكاملة على الحركة الشيوعية العالمية هو أساس الفكرة القديمة التي يقدمها المقال اليوم على أنها "جديدة" ومن مكونات نظريته عن "الثورة البروليتارية للقرن 21" ومفادها أن تلك الثورة لا يمكنها أن تنطلق إلا من المستعمرات وأشباه المستعمرات أولا نظرا لأن تلك البلدان تمثل "موقع الاضطهاد الطبقي وعمقه". فالمقال يجد فيما يشهده عالم المستعمرات وأشباه المستعمرات من حركات ثورية "نهضة نضالية نحو الثورة البروليتارية للقرن 21"!!

ملاحظة 6. يردد المقال نفس الفكرة الانتهازية المشتركة بين جميع فرقنا الشيوعية تقريبا والتي مفادها ان اشتراكية الاتحاد السوفييتي بقيادة ستالين منيت بالفشل. وهذا القول يقول به حتى ارهاط من قبيل الحاج مرتضى العبيدي وهو أيضا قامة شهيرة في حزب العمال. أما النظرة الشيوعية الصحيحة فهي عكس ذلك تماما.

فكامل الأمر كان صراعا عالميا، انهزمت فيه التجربة الاشتراكية في البلد الأول والوحيد في العالم. أن تنهزم البلشفية فلا يعني ذلك أبدا أنها فاشلة مثلما تزعم الدعاية التحريفية في العالم أجمع.

والقيادة البلشفية نبهت الى هذا الأمر بكل وضوح وباكرا منذ 1928. مثلما أكدت أن من نتائج انتصار الامبريالية العالمية على الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي سيادة أخطر موجة رجعية في العالم أجمع لعقود بأكملها.

لقد صاغ المؤتمر الشيوعي العالمي السادس 1928 هذه الفكرة كما يلي:

سوف لن يكون لانتصار الإمبرياليين في صراعهم ضد اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية معنى هزيمة البروليتاريا في هذا البلد فقط بل سيكون معناه أيضا أخطر هزيمة تمنى بها البروليتاريا منذ وُجدت. وستتراجع الحركة البروليتارية طوال عقود من الزمن، وستسود كامل أوروبا أعنف رجعية؛ فإذا كانت البروليتاريا قد حققت مكاسب هامة بفضل تأثير ثورة أكتوبر وكنتيجة لثورات ألمانيا والنمسا وبلدان أخرى، فإن هزيمة البروليتاريا في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية ستفتح صفحة من التاريخ بإرهاب رجعي محتد العنف والوحشية. فلا يمكن، إذن، أن يكون الدفاعُ عن اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية خارج مركز الاهتمام.

المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: أطروحات في الوضع العالمي ومهمات الأممية الشيوعية، فقرة 31

ملاحظة 7. قدم المقال اليونان والهند مثالين للبلدان التي تميزت الحركة الثورية فيها بالتطور وبلوغ نجاحات ملموسة بفضل ما تميزت به البروليتاريا من سياسة ثورية مستقلة واعية. لكن سيكون من الضروري تقديم مثال أو أكثر لتأكيد ذلك حتى يفهم المرء ما إذا كان حقا وفعلا نجاحا يعبر عن تدخل البروليتاريا في سياسة البلاد تدخلا مستقلا وذا أثر قوي. وبتعبير آخر لا بد من التدليل على الدرجة العالية من النضج السياسي الشيوعي الذي اكتسبته البروليتاريا في الهند أو في اليونان. كل ذلك دون أن يعلم القارئ ما إذا كان البلدان المذكوران لهما حسب المقال نفس درجة التطور من الناحية الرأسمالية أم لا!

الملاحظة 8. لم يتضمن المقال بأكمله ما كان العنوان قد بشّر. فليس هنالك ملامح للمقدمات النظرية التي ستشخص لنا نظرية الثورة البروليتارية للقرن 21. ومع ذلك، سنتغاضى عن هذا

النوع من الانزلاق في فبركة المصطلحات، فنمر الى إبداء ملاحظة تمس جوهر الأمر. فها أن القرن 21 قد انقضى منه أكثر من عقد. لكننا لم نر الى اليوم ولو شخصا واحدا ولو في فرقة شيوعية واحدة قد تجرأ على محاولة الإجابة على واحدة من قضايا الشيوعية الأساسية. ورغم ذلك، فالجميع، يتحدث حديثا فضفاضا، بكل ثقة واعتداد مصطنعين، عن فشل الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي زمن ستالين!

فيما يلي أواصل عرض ملاحظاتي على ما أضافه صاحب المقال من تعاليق. ولقد وجدنا أن من الضروري تقديم مزيد التوضيح نظرا لما احتوت تلك التعاليق من اصرار على تمرير أفكار تحريفية قديمة لكنها بالفعل لا تزال سارية عند جميع الفرق الشيوعية في البلاد.

● يمعن صاحبنا في عرض فكرته التحريفية ومفادها أن النظام في الاتحاد السوفييتي بعد اغتيال ستالين وتصفية البلاشفة ظل نظاما اشتراكيا إلى تاريخ حل الاتحاد. وهي فكرة تحريفية قديمة، ونرى أن هذا التأكيد عليها من جديد، يمثل تقهقرا إلى الوراء. وبالتالي يمثل أحد مظاهر التفسخ الفكري عند صاحبنا و"الكتّاب الشيوعيين" الذين يقول إنهم يشاطرونه هذه الاتجاه في التفكير، وهو حال الأحزاب التحريفية التي يشهرها.

● لا يزال صاحبنا يؤكد على كيف أن تجربة بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي زمن ستالين شهدت عثرات وأخطاء، وها أنه يقدم حكمة شكلية مفادها أن كل تجربة أولى لا بد أن تشهد ثغرات وأخطاء. وقد أضاف، لتثبيت فكرته، حجة خطيرة جدا مفادها أن تلك الثغرات وتلك الأخطاء هي سبب نشوء التحريفية في الاتحاد السوفييتي. وإنا لنؤكد هنا أيضا كيف أن صاحبنا يخطو خطوة إلى الوراء. ونعلن صراحة أنها فكرة تستند إلى منطق متخلف يؤسس لأفكار رجعية. وهو منطق لا يختلف عن ذاك الذي يرجع سبب نشوء الفاشية إلى تقوي الاتحاد السوفييتي ودعايته جهرا إلى الإطاحة بالبرجوازية في العالم أجمع.

● يطل علينا صاحبنا بدرة. فهو يعلن أن ما من فائدة من ذكر حال الحركة الشيوعية العالمية وما هيمن فيها من اتجاهات نظرية وسياسية إثر اغتيال ستالين وتصفية البلاشفة. والحق أن صاحبنا له فائدة كبيرة في ذلك. فأولا هو يتخلص من ضرورة رصد الانتهازية بوجه عام وبالتالي كشف محتواها الفكري والسياسي على نحو ملموس مثلما تستوجبه الدراسة الشيوعية. وثانيا يفسح المجال لتمرير فكرته عن استمرار النظام الاشتراكي بعد اغتيال ستالين وتصفية البلاشفة: فلا يتعلق الأمر بسطو التحريفية على الحكم بل جرى تخليص الدولة والمجتمع من بيروقراطية ستالين والبلاشفة!!! وليس من الغريب أن نقف عند صاحبنا على نفس فكرة التحريفيين زمن اغتيال ستالين. فقد اجمعوا، بمن فيهم الماويين والخوجيين وحتى التروتسكيين، على أن الأمر لا يتعلق بالتحريفية وإنما فقط بالتخلص من عبادة شخص ستالين وتصحيح بعض أخطائه. لكن واقع الأمر أنه كان يتعلق حينها بالأساس بالتحريفية، وأن كتابات ستالين الأخيرة إنما كان محورها محاربة التحريفية الصاعدة إثر الحرب.

● لم يذكر صاحبنا ولو حدثا واحدا بعينه للتدليل على كيف أن الحزب اليوناني أو الهندي يقود البروليتاريا في بلاده وأن له نفوذا في السياسة العامة في البلاد. وفي تقديرنا، لن يكون لصاحبنا ذلك. لذا، لم يضف صاحبنا في هذه النقطة إلا كلاما فضفاضا لا نحمله محمل الجد.

● يخبرنا صاحبنا كيف أن ستالين حرف الأممية الشيوعية عن مبادئها. ولقد تملكت هذه الفكرة الخطيرة تفكير صاحبنا جيدا بعد أن اطلع على بيان الحزب اليوناني لمناسبة مئوية الأممية الشيوعية. وأكبر الاحتمالات أن يكن قد وجد فيه ضالته! ولقد أشرنا حينها إلى كيف أن ذلك البيان (ولقد نشره صاحبنا بنفسه على الفايسبوك) قد تضمن جملة كاملة من التهجمات تستهدف رأسا الهيئات القيادية في الأممية الشيوعية (المؤتمرات العالمية، تنفيذية الأممية الشيوعية)، ولقد اقترحنا حينها أن ينشر ذلك البيان في مجموعة عمومية ويجري نقاشه... لكن صاحبنا، سرعان ما عبر عن كيف أن الأمر لا يستوجب كل ذلك وأن البيان يقدم رؤوس أقلام وأفكارا قصد

تعميقها في المستقبل.... وها أن صاحبنا يحاول من خلال هذه التعاليق الفذة أن يعمق أفكار الحزب اليوناني أيما تعميق!!!

لقد قامت صفحتنا المتواضعة طريق البلشفية على الأنترنت بنشر طبعة فريدة باللغة الفرنسية لكامل أعمال المؤتمرات الشيوعية العالمية السبعة. ثم شرعنا في اعداد طبعة فريدة باللغة الفرنسية لكامل أعمال اجتماعات تنفيذية الأممية الشيوعية الثلاثة عشر (صحيح أننا لم ننهي هذا العمل إلى حد الآن). كل ذلك حتى تتمكن العناصر الجدية من بلوغ أية وثيقة رسمية من وثائق الأممية الشيوعية عند دراسة أية قضية من قضايا الشيوعية. لكن صاحبنا، يفضل، أن يغض الطرف عن مصادر الشيوعية الرسمية، ليخبرنا عن تخبط سياسة الأممية الشيوعية وتناقضها مثلما أخبره بذلك بيان الحزب اليوناني. أما اليوم، فقد انتهي إلى الحكمة الشائعة عند جميع التحريفيين منذ عقود: لقد كان ستالين من حرف الأممية الشيوعية عن مبادئها الأساسية!!!

● من الطبيعي ألا نستطيع أن نمنع أي أحد عن قول أي شيء حول تجربة بناء الاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. تماما كما لا نستطيع أن نمنع أي فرقة من أن تضع الاسم الذي تختار لنفسها، لكن كلما صادفنا ذلك، ونظرنا فيه، ووجدنا أنه يناصب الشيوعية العداء، أي لم يتناول أية قضية بعينها بالتحليل من جميع نواحيها وفق الشيوعية، إلا واعتبرناه من سقط المتاع.

وما ذكر في المقال وما أضيف هنا، إنما يدل على أن صاحب المقال يصر على ترديد اسطوانته بكل صلف. فها أنه يكرر نفس الاسطوانة التحريفية التي نشرتها الماوية في كامل أنحاء العالم: ستالين شيوعي لكنه اقترف أخطاء!!! أولئك الأذكياء كانوا يتملصون من الشيوعية ليعرضوا برامجهم المعادية للشيوعية في هدوء.

ستالين كان مخطئا. أجل. لقد قمع الكولاك بقوة السلاح. نحن صححنا ذلك فثقفنا برجوازيتنا ثقافة جديدة، وها أنها تساعدنا في بناء الاشتراكية في الصين الجديدة. على هذا النحو يتحاذق قادة الماوية العالمية على كل من أظهر بعض العطف على ستالين. وهكذا يتحاذق علينا صاحبنا

اليوم: لقد غلّب ستالين مصالح الاتحاد السوفييتي على قضية الثورة، وحلّ الأممية الشيوعية، ووافق على قرار تقسيم فلسطين، وقسّم ألمانيا، وفرّط في المنجز البروليتاري الإيطالي (المنجز، هذه العبارة العزيزة على قلبه. ولماذا لا يذكر هذا المنجز حتى يعلمه الجميع؟)! ولنا شهود عيان: انهم الشيوعيون الإيطاليون!!!

ولم لا نضيف أيضا طلبات فحول الماوية عندنا. فنوسع عريضة اتهام ستالين. فهم مثل صاحبنا تماما، وبنفس الصلف، يصيحون بأن ستالين اقترف جرائم في الصين! لقد كان سببا في سقوط آلاف الضحايا عام 1927 وخلال الحرب على اليابان، طلب من الصينيين ألا يتابعوا ثورتهم!!!

هكذا يتحدث الجميع، هكذا تتحدّث فرق بأكملها تربت على الماوية والتروتسيكية، طوال عقود بأكملها، ولا يهدأ لها بال دون أن تلصق بعض التهم المجانية بستالين وبتجربة بناء الاشتراكية في البلد الأول والوحيد في العالم. لقد قطعوا صلتهم بالشيوعية منذ زمن طويل، حتى أنهم أصبحوا يستخدمون لا النظرية البلشفية عن الانتهازية بل مواعظ ماو حول الخطأ والصواب. أما نحن فلا نرى الأمر يتعلق بالخطأ والصواب، وإنما بصراع حياة أو موت بين الاشتراكية والإمبريالية في العالم أجمع، ولمن ستكون الغلبة فيه. كان ستالين على رأس معسكر الثورة البروليتارية العالمية. والاتحاد السوفييتي هو موطن الاشتراكية الوحيد وهو أداة الصراع البروليتاري العالمي ضد الامبريالية.

لقد انتزع البلاشفة بقيادة ستالين، قبل الحرب العالمية الثانية، سدس الأرض من الإمبريالية العالمية. وقدم الاتحاد السوفييتي بقيادة ستالين المثال الحي لما يجب أن تكون عليه بلدان العالم أجمع في مستقبلها القريب. ولقد كانت الحرب العالمية الثانية بمثابة صراع حياة أو موت بالنسبة للاشتراكية. إثر تلك الحرب، اتضح جليا، أن أي شبر يخرج من نفوذ الإمبريالية العالمية، يعد بمثابة نصر للبلد الاشتراكي الأول والوحيد في العالم. ولقد كان أهم "شبر" تخسره الإمبريالية العالمية، فور انتهاء الحرب، هو الصين.

لكن أناس من طراز صاحبنا لا يفهمون الأهمية العالمية لقيام البلد الاشتراكي الأول والوحيد في العالم. ولا يخطر في بالهم أبدا أنه نتاج الثورة البروليتارية العالمية وأنه أداتها الرئيسية في نفس الوقت. فإذا بهم، وبكل وقاحة، يقيمون تعارضا مصطنعا بين مصلحة بروليتاريا ذلك البلد الاشتراكي ومصلحة البروليتاريا في بقية أنحاء العالم. إنه تفكير ينكر واجبات الاتحاد السوفييتي تجاه البروليتاريا العالمية، وواجبات هذه الأخيرة تجاه الاتحاد السوفييتي، مثلما سطرتها الأممية الشيوعية في برنامجها العالمي عام 1928. إنهم لا يعترفون بالاتحاد السوفييتي بلد البروليتاريا العالمية الذي انتزعه عمال العالم من الإمبريالية العالمية. إنه التملص الذليل والمنحط من أعظم نجاح أنجزته البروليتاريا العالمية على الإطلاق. وها أن صاحبنا يندب حظ ما سماه المنجز البروليتاري الإيطالي!!! نعم، أشهر منجزك البروليتاري في إيطاليا، أما نحن فنذود دوما عن تاريخنا النيّر والمشرّف... تاريخ الاتحاد السوفييتي بقيادة ستالين... صنعته البروليتاريا العالمية في بحر خمسة عقود بالتمام والكمال تحت راية البلشفية: ماركسية عصر الامبريالية والثورة البروليتارية!

● إن صاحبنا وكذلك جميع فرقنا الشيوعية دون استثناء، لم ينتجوا، طوال عقود بأكملها، حسب الأجيال التي نعرف، ولو دراسة واحدة تفصل في قضية لطالما اعتبروها قضية مركزية في أوساطهم ألا وهي القضية الفلسطينية. إنه لأمر عجيب وغريب ألا تكون لدى هذه الفرق دراسة تتناول القضية الفلسطينية من جميع نواحيها فتستنفذها من حيث الأساس. أبدا، لم يحصل ذلك. تماما مثلما لم يحصل في أية قضية أساسية من قضايا الشيوعية.

كذلك حال قضية تقييم تجربة بناء الاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. فنرى جميع الفرق تتبارى في نقد ستالين دون أن تكلف نفسها عناء البحث والدراسة. فما يقدمه المؤرخون البرجوازيون أفضل مما تتشدق به قامات فرقنا بما لا يقاس. فالذي يقدم عددا من الانتقادات لستالين، كان من الأصح أن يقوم بها استنادا على دراسة بعينها أنجزها، فتكون ملاحظاته بمثابة استنتاجات عامة توصل إليها عبر تلك الدراسة. أما صاحبنا، فهو عملي جدا

ولا يريد مضيعة للوقت. فلنقدم ملاحظاتنا اليوم، أما الدراسة فقد ننجزها لاحقا إن لزم الأمر. فلنسجل اليوم أن ستالين حرف الأممية عن مبادئها، ولنأجل دراسة ذلك لاحقا... ولنسجّل اليوم أن ستالين حلّ أيضا الأممية الشيوعية. طبعا سندرس ذلك، فنحن لتونا طرحنا القضية... الحق أن هذا الأسلوب، لا ينفرد به صاحبنا. فهو مشاع بين جميع فرقنا وحتى عند أحزاب عزيزة على قلب صاحبنا، مثل الحزب "الشيوعي" اليوناني. فاليوناني، سبق له أن أفرغ جعبته في بيان مطول بمناسبة مئوية الأممية الشيوعية. وكانت طريقة صياغته تماما مثل طريقة صاحبنا. فقد شرع ذلك البيان يعدد ما ظهر له أنها أخطاء عند الأممية الشيوعية دون تحليل طبعا، فهو يصوغ بيانا، وفي الختام طمأن القراء، طبعا قراء من طراز صاحبنا، بأن الحزب اليوناني سينجز دراسة للبرهنة على ما قدم من ملاحظات. طبعا، لم يقم بذلك. وفي تقديرنا لن يقوم أبدا. فهل سيقدم صاحبنا دراسة لتأكيد ما كان يقول!!!

على ماذا استند صاحبنا ليعارض بشدة المقترح السوفييتي في القضية الفلسطينية. لا نعلم. ولا نعلم حتى كيف علم بالأمر، أي على أي نحو استوعب المشكل. وهل له علم حقا بالمقترح السوفييتي. وكيف انتهى صاحبنا إلى أن تطبيق ذلك المقترح سيعرقل نضال العرب في فلسطين ضد الاستعمار الاستيطاني البريطاني، فهذا هو السؤال الممكن في المشكل الذي أثار. طبعا لم يقدم إجابة على هذا السؤال، فهو يثير المشكل من زاوية أنه أحد أخطاء ستالين! لكن، هل يستطيع صاحبنا أن يجيب عن هذا السؤال؟ طبعا. وفورا إن أردتم! لقد كان ذلك خطأ! وكيف ذلك؟ لاحقا، سندرس الأمر ونقدم قراءتنا!!! أما اليوم، فيكفينا فخرا أن سجلنا خطأ بعينه اقترفه ستالين، إنه خطأ في غاية البداهة حتى أن المرء قد يستغني عن أن يخصّه بدراسة، وأن يفرده بجهد البحث والتدقيق والاستنتاج! نعم، إنه في غاية الوضوح...

السؤال هو كيف يمكن لتطبيق المقترح السوفييتي أن يعرقل نضال العرب في فلسطين ضد الاستعمار الاستيطاني البريطاني؟ سيكون من العبث أن ننتظر إجابة من صاحبنا! فهو يعتقد بجد أن المقترح السوفييتي قد جرى إقراره فعلا وتطبيقه فعلا! والحال أن لا المقترح السوفييتي جرى قبوله وتطبيقه ولا القرار 181 جرى تطبيقه أصلا. وهل يستطيع صاحبنا أن يجيب عن

السؤال التالي: لماذا لم يقع تطبيق القرار 181؟ أبدا. لا يستطيع الإجابة. فقد تملكته فكرة ترسخت في أذهان الجميع تفيد بأن ستالين أراد أن يقسّم فلسطين وربما أن يقدمها للصهاينة كاملة! فكيف لأشخاص ترسخت عندهم مثل هذه الدرر، طوال عقود، أن يرى من الصواب وضع لوحة متكاملة عن الوضع الفلسطيني والعالمي حينها، وأن تحدد فيه بدقة جميع القوى السياسية والاجتماعية المتصارعة، مع الأخذ بعين الاعتبار كيف أن فلسطين كانت منذ عقود بأكملها مستعمرة استيطانية بريطانية. وأن الهيئة الرسمية العربية لم تتفاهم مطلقا مع ممثل الاتحاد السوفييتي وفق توصية بريطانيا.

فلو أخبرنا تلميذا أن ستالين قسّم فلسطين أو أعطاها للصهاينة، لبهت مما نقول. فكيف يمكن أن يفعل ذلك وهي في حوزة بريطانيا! وبالفعل، لم تقبل بريطانيا لا بالمقترح السوفييتي ولا بالقرار 181. وإنما تحركت بسرعة لتنظيم آلة حرب "يهودية" (صهيونية فعلا) لتحل محل القوات العسكرية البريطانية التي كان الاتحاد السوفييتي يشترط مغادرتها فلسطين. ولهذا السبب لا نرى في الأحداث التي نشأت عام 1948 حرب تحرير عربية. فقد كانت معظم قياداتها بريطانية أصلا فضلا عن أن تحركها الميداني جرى وفق خطة بريطانية أصلا. طبعا هنالك الكثير ممن يرى عكس ذلك فيجد فيها حربا وطنية، وغالبا ما كانوا أيضا يحورون اللوحة ببعض الذكاء. فمن ذلك أنهم يشيرون إلى عدد أطراف النزاع كان ثلاثة: عرب وصهاينة وبريطانيا. وحكمة لوحة من هذا القبيل هي وضع تعارض مصطنع بين الصهيونية وبريطانيا، أي هي لوحة تنكر كون الصهيونية إنما هي أداة تنفيذ الاستعمار الاستيطاني البريطاني في فلسطين.

لا يمكن للمقترح السوفييتي أن ينجح دون سند سياسي ملموس من جانب عرب فلسطين. لكن لم يكن من بينهم أية قوة سياسية متنفذة في الجماهير وتقبل بعقد تحالف مع الاتحاد السوفييتي. والقوى السياسية القومية التي قبلت بالأمر الواقع أعلنت تأسيس حكومة عموم فلسطين. لكن الإنجليز دفعوا فاروق وعبد الله للقضاء على إمكانيه تأسيس دولة فلسطينية. ولم تكن هنالك قوى سياسية ثورية حقا ولها نفوذا في الجماهير، وبالتالي يمكن أن تهتم بالتحالف

مع الاتحاد السوفييتي. فحتى الشيوعيين لم يكن لهم نفوذا كبيرا حتى أن التمثيل الرسمي لعرب فلسطين كان بيد أرهاط من طراز مفتي القدس.

ولا يصح أن نقول حينها الاستعمار الصهيوني وإنما الاستعمار الاستيطاني البريطاني. لأن الأمر تاريخيا كان كذلك. فالصهيونية حركة سياسية استندت إلى قوة إمبريالية. أما أن تتطور الصهيونية، فتركز جهاز دولة عسكرية، وتكتسب نوعا من الاستقلالية عن البلد الإمبريالي الأم، فذلك أمر آخر تكوّن لاحقا. وأهمية هذا التمييز هي حتى نبرز واقعا تاريخيا غالبا من يقع عدم أخذه بالحسبان في تقدير الأحداث حينها.

هل كان المقترح السوفييتي سيسهّل مشروع الإمبريالية البريطانية أم سيعرقله، هل سيسهّل تهجير العرب أو إبادتهم أم سيعرقل ذلك؟

كانت القوى السياسية العربية الرسمية في كل الأقطار العربية تعمل في خندق الإمبريالية، بما في ذلك فلسطين. ولهذا السبب كانت تلك القوى تشهّر بالمقترح السوفييتي بأمر من بريطانيا لأن هذه الأخيرة لا تقبل بالمقترح السوفييتي أصلا فهي ترمي إلى الاستيطان. والمقترح السوفييتي يعرقل الاستيطان. فالاستيطان يتعارض مع مقترح الدولة الواحدة العربية-اليهودية وحتى مع مقترح الدولتين المنفصلتين. فالاستيطان يقتضي تهجير السكان الأصليين أو إبادتهم بالكامل. فهذا النوع من الاستعمار لا ينتهي بتحويل المستعمرات إلى أشباه مستعمرات تتألف فيها دول محلية. بل هو استعمار خاص كان المؤتمر الشيوعي العالمي السادس قد ميزه عن غيره من أشكال الاستعمار. وأخيرا إن قبول المقترح السوفييتي سيكون معناه وجود قوة سياسية فلسطينية ستعقد فورا تحالفا سياسيا وحتى عسكريا مع الاتحاد السوفييتي مثلما كان الأمر في حالات أخرى واجهت الاتحاد السوفييتي. لذا عارضت بريطانيا قرار التقسيم وأوكلت لعملائها العرب للقيام بذلك في الأمم المتحدة وأوكلت لأداتها الصهيونية مهمة تركيز جهاز الدولة العسكري حتى يضمن لها السيطرة المطلقة على كامل فلسطين.

لكن صاحبنا، لا يكترث لكل ذلك، ويريد، بكل صلف، أن يسجّل، على عجلة وبكل بساطة، تهمة مجانية ضد ستالين.

الأمر الهام والرئيسي في كامل عرض هذا الانفلات التحريفي عند صاحبنا، هو أن نكشف أمرا في غاية الخطورة يجري داخل مجمل الحركة الشيوعية في البلاد. يتلخص هذا الأمر في انحطاط إيديولوجي وسياسي لفرقها. والخاصية الهامة في هذه الظاهرة هي أن هذا الانحطاط يجري لا بسبب نضال من جانب اتجاه شيوعي حقا وفعلا، أي اتجاه بلشفي، بل يجري بسبب قوة الإمبريالية والرجعية المحلية. ويجري هذا الانحطاط بنسق متسارع طالما أن مجمل الحركة، دون استثناء أية فرقة منها، لا تمتلك أي سند اجتماعي، لا تسندها أية طبقة اجتماعية.

الثوري المحترم فلان بن فلان،

لم نخطأ عندما قلنا إن تعليقك الأول كان بمثابة مرافعة محام رديء. ومكمن الرداءة أنك تزعم عدم تضمن مقال صاحبنا لأفكار تحريفية لكنه قدم تأكيدا لها في تعاليقه أعلاه. لكن بغض النظر عن حذلقتك النظرية البائسة قصد اسقاط التهمة عن صاحبنا، ها أنك تكشف، ككل "ثوري محترم" عن حقد هائل على التاريخ النير والمشرف للشيوعية: تاريخ بناء الاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية بقيادة ستالين. والحق أنها خصلة يشترك فيها ما لا يحصى من أولئك "الثوريين المحترمين" الذين يناصبون، في أيامنا، الشيوعية العداء والذين لا يفوتون فرصة ليعلنوه.

وها أنك، أيها الثوري المحترم، تجود علينا بحكمة، تبدو جديدة، لكنها في الحقيقة من النوع الجاري والمعتاد عند قامات وزعماء وأبطال فرقنا الشيوعية. وتقول هذه الحكمة "بألا نقدس الأشخاص وألا نعتبر تجربتهم السياسية لا ينالها الخطأ". لكنك، أيها الثوري المحترم، تجهل، والأصح أنك تتجاهل، أن جوهر ما تقدمه إنما هو، على وجه التحديد، ما استخدمته التحريفية من دعاية في الاتحاد السوفييتي عند اغتيال ستالين وتصفية البلاشفة. فحينها رفعت التحريفية

شعار محاربة عبادة ستالين وتصحيح أخطائه. وانظم إليها الماويون والخوجيون، ورقص التروتسكيون!

ما كان التحريفيون السوفييت يشهرونه من "أخطاء" ستالين، وحتى ما أضافه إلى تلك القائمة الماويون والخوجيون ومن لف لفهم، إنما جرى انكشاف زيفه مع مرور الوقت... ومن أهم ما جرى انكشافه، كان الجوهر الانتهازي لموعظة الخطأ والصواب سيئة الصيت. فقد اتضح أن مستخدميها، وماو كان أكثرهم ولعا بها، قد استعاضوا بها عن النظرية البلشفية عن الانتهازية، وهي إحدى المكونات الأساسية لنظرية الثورة البروليتارية في البلشفية. فليس الأمر مجرد نية طيبة عند مثقفين يبتغون معرفة الحقيقة، وإنما هو اتجاه فكري وسياسي انتهازي بأكمله كان يرمي إلى الهيمنة على مجمل الحركة الشيوعية العالمية، ونجح في ذلك نجاحا تاما. وماذا يعني اسقاط النظرية البلشفية عن الانتهازية من مجمل التفكير الشيوعي؟ إنه يعني اسقاط نظرية الصراع الطبقي من التفكير الشيوعي! يعني القبول بأن اختلاف الأفكار والسياسات لا أساس له في الصراع الطبقي الذي يجري في حياة الشعوب وإنما أساسه منطقي خالص، أي فكري خالص. وبالتالي تحدده أفكار أولئك الساسة موضوع البحث الذي نتناول. ولما كان الأمر كذلك، فمن الطبيعي أن يخطئوا في أمور وأن يصيبوا في أخرى! فما من أحد معصوم من الخطأ مثلما يزعم المتدينون! وماذا يترتب عن اسقاط نظرية الصراع الطبقي من التفكير الشيوعي في المجال العملي، أي في السياسة؟ سيترتب عن ذلك، في كل الأحوال أن سياسة بعينها خاطئة وتستوجب تصحيحا! وما الذي يجعلنا نقول ذلك؟ إنه رأي آخر بعد أن أصبح في موقع يستطيع أن يعلن الخطأ ويصححه أيضا! فلا يهم كيف احتل الموقع الجديد، فالأمر لا يعدو أن يكون أفكارا تتفاعل إيجابيا!!! فعلى هذا النحو، مثلا، لا يهمنا كيف جرى اغتيال ستالين وتصفية البلاشفة ولا يهمنا كيف انعقد المؤتمر العشرين ولا يهمنا حتى لماذا بقيت قرارات ذلك المؤتمر سرية زمنا. فلا يهمنا إلا أمر واحد، ألا وهو تصحيح أخطاء ستالين!

أما إذا كنا لا نتنكر للحقائق الجوهرية في البلشفية، فلن ننظر إلى الأمور من زاوية أكان ستالين قد أخطأ أم أصاب، بل من زاوية الصراع الطبقي، الذي كان يجري حينها في العالم أجمع. في

ذلك الصراع العالمي كان ستالين على رأس الثورة البروليتارية العالمية، وبالتالي كان قائد الاتجاه البروليتاري العالمي، وكان يواصل، إلى حين اغتياله، النضال المنسجم والثابت ضد الاتجاه التحريفي العالمي، فلم تظهر التحريفية حينها في الاتحاد السوفييتي فقط بل في أغلب البلدان بما فيها طبعا الصين. لذا، فإن ما نشأ حينها ليس مبارزة في الفكر بل صراعا سياسيا كانت الغلبة فيه للتحريفية، أي للإمبريالية. والشيوعي الحق سيقف، فورا ودون أي تردد، إلى جانب ستالين، إلى جانب البلشفية، إلى جانب دكتاتورية البروليتاريا وبناء الاشتراكية في البلد الأول والوحيد في العالم. أما الخونة فسينتهزون الفرصة للانقلاب وسيكسبون فورا كل المترددين أولئك الوسطيون الذين كان على رأسهم حينها ماو وخوجه!

لم يكن الأمر مبارزة أفكار، بل كان صراعا سياسيا بالمعنى الأصلي للكلمة، لقد كان صراع حياة أو موت حسب تعبير المؤتمر الشيوعي العالمي السادس.

ما الذي يرمي إليه كل الذين ينكرون ذلك الصراع ويختزلونه، على نحو مبتذل، في أخطاء وتصحيح أخطاء؟ إنهم يرمون إلى التملص من البلشفية: ماركسية عصر الإمبريالية والثورة البروليتارية. إنهم يقدمون، بديلا لها، خليطا إيديولوجيا من شتى المشارب الفكرية والسياسية التي ازدهرت تحت أنظار الماوية وحتى برعايتها في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك التروتسكية بعد أن أزاحتها البلشفية نهائيا من الحركة الشيوعية العالمية. وما أحذقهم في تدبيج عناوين لفبركاتهم النظرية، كصاحب صاحبنا الذي شرع يبشر بعنوان جديد: نظرية الثورة البروليتارية للقرن 21.

لا يمكن أن يكون للتملص من النظرية البلشفية من معنى إلا التملص الذليل والمنحط من أعظم واجب ثوري في أيامنا ألا وهو النضال في سبيل رد الاعتبار للنظرية الثورية، رد الاعتبار للبلشفية: ماركسية عصر الامبريالية والثورة البروليتارية. وسيكون من الغباء أن تتقدم الحركة الشيوعية العامة وأن تحقق نجاحا جديا دون أن يقوم عمل جدي في سبيل الإجهاز على الخليط الأيديولوجي المهيمن على الحركة الشيوعية بأسرها منذ عقود بأكملها.

مرة أخرى حول قرار التقسيم وحرب 1948

لم نكن نبالغ عندما ذكرنا أعلاه كيف أن محتوى الحديث عن المقترح السوفييتي وقرار التقسيم هو محتوى مشاع بين جميع فرقنا الشيوعية دون استثناء. فمن ذلك أن النص المطول الذي نشره حزب الوطد الثوري الماركسي اللينيني على صفحته في الفايسبوك لمناسبة "ذكرى حرب ماي 1948" بتاريخ 20 ماي 2022، لم يختلف لا عما تردده بقية الفرق الشيوعية في البلاد ولا حتى عما يتردد في أوساط الحركة الشيوعية العربية العامة.

إن هذه الظاهرة تؤكد كيف أن جميع الفرق الشيوعية دون استثناء لم تعر أية أهمية جدية لعرض لوحة علمية متكاملة للمشكل الذي دأبت على إثارته كل سنة عندما يباغتها أجل إحياء ذكراه.

فالحزب المعني، ورغم طول النص الذي قدم، لم يقدم عرضا شيوعيا للمشكل من جميع نواحيه على نحو علمي أبدا.

فالجزء الأول تضمن فقرة قصيرة أولى خاطئة نظريا وتاريخيا ثم جرى تضمين باقي ذلك بمجموعة من الشهادات لتأكيد الموقف المغزى للدول العربية حينها.

أما الجزء الثاني من النص فقد أمعن في بعض تفاصيل "الحرب" لكنه فضل أن ينتقل بسرعة إلى فك لغز "تحول النصر إلى هزيمة"!!! وكيف ذلك؟ طبعا، "وفق بعض الدراسات"!!! ولقد خلص النص إلى تقديم أسباب ذلك اللغز وعددها خمسة. لكن من الغريب أن اولها يبرز عمالة الأنظمة العربية أما الأربعة الأخرى فتبرز مدى استعداد القوات المسلحة العربية الرسمية وسلوك قيادتها السياسية!!!

وأما الجزء الثالث والأخير من ذلك النص، فقد تضمن تعداد لمجاز الصهاينة في حق الفلسطينيين زمن حرب 1948.

والحق أن ذلك النص لم يتناول بالحديث المقترح السوفييتي ولا سياسة الاتحاد السوفييتي في تلك القضية. وأكبر الاحتمال أن أصحاب النص يفضلون اتباع حذر خاص في الأمر يقوم على اعتبار قرار 181 قرارا عدوانيا مع تجنب ذكر الاتحاد السوفييتي!!! لكننا لا نجد في ذلك الحذر حكمة، بل تملصا من تناول المشكل تناولا جديا، حتى يوضع حد للتشوش القائم في هذا الموضوع، وحتى يقوم تمايز حقيقي بين التصور الشيوعي الحق للمشكل وبين مختلف التصورات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة السائدة في حركتنا الشيوعية منذ عقود والتي أخذتها في صورتها الخام من كتابات ما يسمى "الماركسية العربية" الوافدة من المشرق العربي أين كانت تنتج بغزارة غير اعتيادية!

فإذا كانت حرب 1948 مسرحية، مثلما نقرأ في نص البيان، فسيكون من غير الصحيح إطلاقا أن نقول أنها اندلعت فعلا ضد معسكر الإمبريالية العالمية وأداتها الصهيونية. تماما مثلما سيكون من مطلق الخطأ أن يكون "القادح المباشر لاندلاعها مؤامرة تقسيم فلسطين التي جسدها القرار العدواني الاستعماري الظالم". وأخيرا، سيكون من مطلق الخطأ أن نقول أن "فلسطين قد تم تسليمها إلى الصهاينة بمقتضى ذلك القرار".

فرغم أن فرقنا الشيوعية قد مضى على ظهورها أكثر من نصف قرن، ورغم أن معظم عناصرها متقاعد أو على وشك التقاعد، فإنها لم تقتنع إلى يومنا هذا بحقيقة تاريخية يعلمها حتى تلاميذ المعاهد ألا وهي أن فلسطين كانت منذ أوائل العشرينيات من القرن الماضي مستعمرة بريطانية. وربما تلاميذ أذكياء سيخبرون قامات فرقنا الشيوعية أن بريطانيا استخدمتها قاعدة عسكرية. فقامات فرقنا الشيوعية تتناسى كيف أن فلسطين كانت منذ البداية خاضعة لاستعمار استيطاني. والاستعمار الاستيطاني حسب المؤتمر الشيوعي العالمي السادس إنما يترتب عنه "تهجير السكان الأصليين أو إبادتهم بالكامل".

لكن قامات فرقنا الشيوعية، للأسف الشديد، لا تأخذ بعين الاعتبار مثل هذه الحقائق الجوهرية كلما باغتها موعد "ذكرى حرب ماي 1948" وسارعت إلى إعادة نشر ذات النص كل سنة.

فإذا كانت فلسطين مستعمرة بريطانية، وإذا كنا نتحدث ببعض الانسجام، فلن "تسلمها" بريطانيا أبدا، بل ستعجل في تنفيذ مهمة الاستيطان. وكيف ذلك؟ عبر تسليح المنظمة الصهيونية وإنشاء جيش تام الشروط: أي جيشا جديدا يستطيع أن يعوض الجيش البريطاني إثر الانسحاب من فلسطين. وإنه لأمر عجيب وغريب ألا يخطر على بال قامات فرقنا الشيوعية كيف أن فلسطين لا يدخلها ولا يخرج منها أي نفر أو رصاصة دون علم مسبق من الجيش البريطاني. لذا، فما تألف فورا، حينها، من قوات صهيونية مسلحة وما حصل من مجازر، إنما تألف وحصل وفق خطة عسكرية بريطانية مباشرة.

لذا، فعندما يقتصر الجهد على تعداد مظاهر الأمر دون إبراز جوهره الحقيقي والموضوعي، فلن يزيد عن كونه عرض جار ومعتاد نصادفه في معظم أوساط المثقفين البرجوازيين والبرجوازيين الصغار خلال تعبيرهم عن بعض الحزم في نزعتهم الوطنية. ولكنه لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال عرضا شيوعيا حقا.

فإذا كانت الحركة الشيوعية العامة في البلاد ضعيفة ومتخلفة ولا أثر ملموس-مكتوب لمجمل تصوراتها، فإنها أيضا لم تر مانعا في أن تنهل مما جاد به التفكير البرجوازي الصغير في المشرق العربي. وإذا بمعظم قامات فرقنا الشيوعية تنشر في أوساطها كتابات تلك "الكوكبة" الشهيرة من المفكرين الذين كانوا يؤلفون ما يعرف "بالماركسية العربية" والتي كان من أعلامها إلياس مرقص وياسين الحافظ وجورج طرابيشي ومنير شفيق. لكن تلك الكوكبة بأكملها لم يكن لها رأي في الموضوع الذي نتناول مختلفا عما قدمه الأخ ناجي علوش. فالأخ ناجي علوش يقول بصريح العبارة في كتابه المقاومة العربية في فلسطين (1917-1948)؛

"كان موقف الاتحاد السوفييتي سببا من أسباب اندفاع الأحزاب الشيوعية في أوروبا خاصة على طريق تأييد "إسرائيل". وهكذا لم نجد من يقف معنا في عام 1948 سوى بعض الدول الحديثة النمو والضعيفة مثل أفغانستان. كانت الإمبريالية العالمية تعمل على انشاء قاعدة مسلحة كبرى في بلادنا. ولم يجد الاتحاد السوفييتي سببا يدعوه للاعتراض. ولم تكن هناك قوى أخرى، ذات نفوذ عالمي، تستطيع مساندتنا لمجابهة الخطر الداهم."

أيمكننا أن نقيم اختلافا جديا بين ما جادت به قريحة الأخ ناجي علوش وفرقنا الشيوعية العريقة؟ سيكون من الصعب اثبات الاختلاف. بل أكثر من ذلك، فما يتردد في أوساط فرقنا في هذا الأمر على وجه التحديد، لا يزيد عن كونه، من علامات تأثير تلك "الكوكبة" من المفكرين. ولا يستطيع المتقاعدون في فرقنا أن ينكروا أنهم كانوا ينهلون من كتابات أولئك المفكرين ويروجونها أوساطهم أيضا!!!

بلغتنا ملاحظات في هذا النقاش عن طريق الخاص، فرأينا أن ننشر ردنا دون نشر نص الملاحظات ولا حتى اسمه. لذا، كان ردنا مباشرة هنا كما يلي:

ما تسميه ضعفا عاما أصاب الحركة الاشتراكية نحن نرى أنه ظاهرة عمرها قرابة السبعة عقود قامت خلالها الفرق البرجوازية الصغيرة بالسطو على ايديولوجيا الطبقة العاملة. وبالتالي هيمنت على الحركة الشيوعية هيمنة مطلقة، ودون منازع، اي دون قيام اتجاه بلشفي واضح المعالم.

طبعا هنالك عناصر نحدثها دون هجوم صريح. لأنها أبدت اهتماما بضرورة القطع مع التشوش الفكري القائم. لكن الرفيق جوهر الشتيوي، بقطع النظر عن مدى قدراته النظرية، أشرنا عليه بألا ينفلت في تهجمات رخيصة ودون أساس على القادة التاريخيين للشيوعية وكذلك للأممية الشيوعية. لكنه فضل أن يمعن في السير نحو ذلك مستنقع. لم نقل له لا تنقد، بل قلنا له قدم تصورا متكاملا لأية قضية، أما أن يسوق جملة كاملة من المغالطات ظنا منه أنه يسوق بديهيات رياضية فذلك أسلوب نعلمه جيدا وخبرناه عند الماويين الصريحين عندنا.

بالنسبة لقوجمان فلا نعتقد أنه يرمي إلى ما نرمي إليه أصلا. لذا، فمن غير المناسب اقحامه في حديثنا.

هنالك أمران لا نعيرهما ولو ذرة أهمية في تقدير مدى صحة الأفكار والآراء في قضايا الشيوعية وهما السجن والتعذيب. فلن يكونا معيار صحة أفكار أو اتجاه في الأفكار مطلقا عند من سجنوا أو تعذوا.

بالنسبة لأنور خوجه، هنالك عدة نواحي في الحديث في موضوعه. فأما بالنسبة لموقفه من انقلاب التحريفية على ستالين، وقف حينها خوجه على نفس الأرضية التي وقف عليها ماو وهي أرضية وسطية. وأما بالنسبة لتمايز خوجه عن الماوية لاحقا، فلم يقع على أساس بلشفي. ولم يقدم خوجه وحزبه تحليلا بلشفيا للثورة الصينية وقواها الاجتماعية والسياسية بوجه عام وصراع الاتجاهات داخل الحزب الشيوعي الصيني بوجه خاص وانقلاب ماو على القيادة البلشفية في الحزب في جانفي 1935 بالأخص. وفي رأينا لم تقم الخوجية بكل ذلك لأنها ترمي في الحقيقة الى التملص من البلشفية: ماركسية عصر الامبريالية والثورة البروليتارية. أما النصوص التي تضمنت اطراء لستالين يمكن العثور على ما يشبهها أيضا عند ماو. وعموما لا قيمة علمية لها. فليس فيها تناولا لقضايا الشيوعية تناولا علميا. وبتعبير آخر لا يمكنها أن تكون مادة ننطلق منها في الدراسة.

أما الموضوع الأخير، إعادة الرأسمالية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، فالجميع يعلن، منذ عقود، مثلك تماما، أنه واسع وشائك. لذا، نكون على حق عندما قلنا أن الخوجية لم تهاجم الماوية على أساس بلشفي. فلو كان لها ذلك، لقدمت دراسة بلشفية لمثل هذا الموضوع الواسع والشائك. لكنها لم تقم بذلك ولن تقوم به لأنه سينتهي بفضحها كاتجاه وسطي داخل الحركة الشيوعية العالمية. ولهذا السبب نبهنا الرفيق جوهر الشتيوي الى عدم الانفلات في التهجم على ستالين والأممية الشيوعية، فلا واحد ممن من الأحزاب التي يبشر بها كان له شرف تناول هذه القضايا على نحو جدي!!!

ملاحظة: يمكن لمن يريد إبداء ملاحظة في الموضوع على الخاص أن يقوم بذلك.

بلغتنا ملاحظة أخرى على الخاص، نرد عليها هنا مباشرة كما يلي:

قد يبدو نقدنا لا يقيم أهمية كبيرة للتمييز بين الفرق الشيوعية في البلاد. ويرجع سبب ذلك إلى أن فرقنا الشيوعية لم تقم تمايزا نظريا فيما بينها. فلم تشهد حركتنا الشيوعية صراعا نظريا وسياسيا يمكن رصد مجراه وتحديد قضايا الخلاف فيه وإلى ما انتهت إليه كل فرقة في كل قضية أساسية من قضايا الشيوعية. لذا، فإن معظم ما نشير إليه من تأخر نظري وسياسي إنما هو سمة مشتركة بين جميع فرقنا الشيوعية دون استثناء.

هذه الظاهرة الخطيرة ازدادت ترسخا بعد أن تتالى انقلاب كل واحدة منها حزبا سياسيا. ومن الطبيعي أن تعمل تلك الفرق/الأحزاب على منع مبادرات السعي لرد الاعتبار للنظرية الثورية وعلى لجم حتى مجرد التساؤل الجدي في أوساطها عن الاختلاف أين يكمن على وجه التحديد! فمن الناحية الشكلية الخالصة، من حق القيادة "المنتخبة" أن تحدد السلوك العام تجاه "مبادرات من هذا القبيل". لذا، لا نبالغ إذا قلنا أن انقلاب هذه الفرق أحزابا كان بمثابة غلق الباب أمام امكانية نشوء مبادرات جدية لرد الاعتبار للنظرية الثورية ومحاولة تجاوز التشوش الأيديولوجي السائد. وعموما ما يمكن أن ينشأ في أوساطها لاحقا لا يمكن أن يحصل إلا بتشنجات وخسائر كبيرة.

لذا، لا نتجنى على حركتنا الشيوعية عندما نقول إن سمتها الأساسية هي الضعف والتأخر والتشوش وانعدام أي عمل جدي ملموس لرد الاعتبار للنظرية الثورية. ولهذا السبب يبدو نقدنا موجها لجميع فرقنا دون استثناء، أي لمجمل الحركة. فلو نظر المرء لقضية بعينها لوجد أن مجمل الحركة، أي جميع فرقها دون استثناء، لم تتناولها بالدراسة من جميع نواحيها لتفصل فيها، رغم أن قاماتها تثيرها في جميع "المواسم والأعياد"، دون أن تضيف أي شيء جديا فيها، وأحيانا تعيد نشر نفس البيان الذي نشرته سلفا. ولهذا السبب أيضا تمتعض القامات المتقاعدة في جميع الفرق لا من نقدنا فحسب، بل أيضا تمتعض من الجهد الذي نبذل للتعريف بالكتابات البلشفية

التي نشرناها على صفحاتنا المتواضعة طريق البلشفية على الأنترنت. فإذا كانت تلك القامات تنهل من مما تجود به تلك "الكوكبة" من المفكرين في المشرق العربي (الحافظ، مرقص، شفيق، طرابيشي، علوش) فإننا رأينا، عكس ذلك، أن نتحمل جهد الترجمة، فننقل إلى العربية نصوصا بلشفية عالية الأهمية ولم تتجرأ تلك القامات على ترجمتها ونشرها في أوساطها.

فلو عدنا إلى موضوع مقال صاحبنا سنجد أن كل ما يسوقه في خصوص ستالين والأممية الشيوعية من أشباه أفكار ومغالطات إنما هو محتوى مشاع بين جميع الفرق في حركتنا الشيوعية ومنذ عقود وهو ما نشرته تلك الكوكبة التي ذكرنا.

لذا، من الطبيعي أن يحس كل عنصر في حركتنا الشيوعية بأنه معني بنقدنا مباشرة!!!

الرفيق الشتيوي صاحب المقال الذي نناقش، قدم مساء اليوم ملاحظة جديدة تتعلق بحل الأممية الشيوعية. لكن جرى ذلك في نقاش تدوينة خاصة به على جداره. ولما كان أثار مقاله أعلاه ذات الموضوع ولما كان هنا متابعين كثر وأغلبهم من الفئة الشابة فقد رأينا أن ندرج هنا ملاحظة الرفيق الشتيوي ونشفعها بردنا حتى تعم الفائدة. كانت ملاحظته كما يلي:

صحيح أن قرار حل الأممية الشيوعية كان صادرا عن قيادتها المتمثلة في الرئاسة التنفيذية وكان بموافقة مجمل الاحزاب الشيوعية وأغلبها أنداك. لكن قول ستالين الذي برر فيه حل الأممية الشيوعية بذلك تلك الجملة الصادحة عنه هو حقيقة ثابتة ولا مجال لتبريرها أو نكرانها. هنا أشير لمسألة اخرى أكثر دقة ان قرار حل الأممية الشيوعية يتناقض مع مبادئ تأسيسها فلقد أسست من أجل استكمال مهام الثورة البروليتارية العالمية التي انطلقت من روسيا وبلورة استراتيجية الثورة لتلك الفترة، لا ننكر الدور الهام الذي لعبته في تشكيل الاحزاب الشيوعية والتصدي للانحرافات اليمينية واليسراوية ودعم الحركة الثورية في إسبانيا وإسهامها في توجيه النضال الوطني الثوري في كل من الصين والهند والدور الإرشادي للأحزاب الشيوعية العربية. وتشكيل أممية النقابات الحمراء إلخ. لكن سبب حلها فعلا يتناقض مع أهداف تأسيسها حيث

كان ادعاء بأن الأممية الشيوعية قد استكملت مهامها وضرورة استقلالية الاحزاب في عملها ونشاطها. كما أنها بالأحرى قد توقفت فعليا عن العمل إثر المؤتمر السابع.

أما ردنا على ذلك فندرجه هنا مباشرة:

نرى أنك تصر على الإمعان في الخطأ. لما قلنا أعلاه أن ستالين لم يقدم تبريرا لحل الأممية الشيوعية فذلك يعني أنه لم يفعل ذلك. فليس هنالك ما يمكن اعتماده لتأكيد زعمك مما كتب ستالين حينها. أما أن يكون قد بلغك من الحزب اليوناني أمرا مبهما وفي سياق آخر، فذلك أمر آخر ولا نحمله محمل الجد.

لذا، فمن يريد أن يفهم (قبل التسرع بالتهجم) كيف قدرت قيادة الأممية الشيوعية مقترح الحل عليه بالاطلاع على قرار رئاسة تنفيذية الأممية الشيوعية بتاريخ 15 ماي 1943، وهو مقترح ابلغته لجميع فروع الأممية الشيوعية وطالبتها برد رسمي. بعد جمع ردود الفروع، أصدرت رئاسة تنفيذية الأممية الشيوعية تقريرا تفصيليا لمواقف جميع الأحزاب التي ردت على القرار. ولم يكن فيها حزبا واحدا عارض القرار.

أما من يريد أن يجادل في أن ذلك القرار كان خاطئا حينها، فعليه بعد الاطلاع على تينك الوثيقتين وفهمها، أن يقدم لوحة متكاملة لجهاز الأممية الشيوعية بأكمله أي بكامل هيئاته ومؤسساته وكيفية عملها إلى جانب تقدير الوضعين الداخلي والخارجي للاتحاد السوفييتي حينها حتى يستطيع أن يفصل فيما إذا كان من الممكن فعلا أن يستمر عمل جهاز من ذلك القبيل حينها.

ثم سيكون، لاستكمال اللوحة، أن يقدم الدارس توزيع القوى الشيوعية في الاتحاد السوفييتي وفي العالم أجمع. فلا يجب أن ننسى أن سنوات الحرب قد صفت ما لا يحصى من القوى الشيوعية الثورية، أي من القوى التي يستند إليها الاتجاه البلشفي العالمي، والذين كانوا فعلا العمود الفقري لأجهزة الأممية الشيوعية وهيئاتها القيادية!

نحن نعلم أن الرفيق الشتيوي ككل عناصر فرقنا الشيوعية لا تستطيع أن تتخيل ولو بقدر ضعيف ما كانت بلغته عظمة جهاز الأممية الشيوعية، لأنها اعتادت أن تنظر إليها كبناية في موسكو يلتقي فيها حفنة من القادة مثلما يحدث في أيامنا للملتقيات السنوية وغيرها للأحزاب الماركسية-اللينينية!! فمن الطبيعي ألا يقتنع صاحبنا بغلق "البناية".

أما في خصوص الزعم الخاطئ الذي يقول بأن حل الأممية الشيوعية يتعارض مع مبادئ تأسيس الأممية الشيوعية، فنؤكد أنه زعم يفتقر إلى أساس مادي. فالأممية هي شكل نضالي. أسسها ماركس وقامت بمهمتها إلى أن أصبح ذلك الشكل غير ملائم فجرى حلها. كذلك تأسست الأممية الشيوعية الثالثة وقامت بمهمتها إلى أن أصبح الحفاظ على ذلك الشكل غير ملائم. لاحقا، بعد الحرب، تألف مكتب الإعلام الشيوعي وضم مجموعة صغيرة من الأحزاب الشيوعية. ولو اهتم صاحبنا بجريدة ذلك المكتب، لفهم كيف أن الأمر يتعلق بخطر صعود التحريفية إثر تلك الحرب.

الأممية الشيوعية أنجزت عملا عظيما بل جبارا لنشر الشيوعية وتقوية الأحزاب الشيوعية في العالم أجمع. وأنجزت عملا عظيما سيبقى خالدا إلى جاب البيان الشيوعي ألا وهو البرنامج الشيوعي العالمي الذي جرى الإعداد له منذ المؤتمر الشيوعي العالمي الرابع وأقرته الأممية في مؤتمرها الشيوعي العالمي السادس. فقد توصلت الأممية الشيوعية، بعد استنفار جميع هيئاتها ومؤسساتها الى تحقيق أعظم اعداد نظري وسياسي قصد صياغة برنامج الأممية الشيوعية. أرسلت بمحققين ورحالة وخبراء من عديد الاختصاصات لتجميع المواد اللازمة لفهم جميع نقاط العالم، جميع البلدان على اختلافها... لقد كان المؤتمر الشيوعي العالمي السادس مؤتمر البرنامج الشيوعي حصرا. "وهكذا ينجز برنامج الأممية الشيوعية أعلى تأليف نقدي لتجربة الحركة الثورية العالمية البروليتارية. إنه برنامج نضال في سبيل الدكتاتورية العالمية البروليتارية؛ برنامج نضال في سبيل الشيوعية العالمية ".

ومع ذلك ما من فرقة من فرقنا خصته حتى "بتدوينة" باهتة!!! وأكبر الاحتمالات أن قامات فرقنا كانت تعلم بوجود برنامج الأممية الشيوعية في بعض هواش بعض الكتابات التي بدورها لا تعيره أهمية!!!

لذا، بصياغتها وثيقة البرنامج الشيوعي تكون الأممية الشيوعية قد قدمت لشيوعي العالم أجمع أعظم وثيقة نظرية وسياسية. هذه الوثيقة يصفها المؤتمر الشيوعي العالمي السادس كما يلي:

" لقد أقر مؤتمر الأممية الشيوعية السادس برنامجا أمميا يربط جميع فروع الأممية ويلزمها. فلأول مرة، منذ ولادة الحركة البروليتارية الثورية، سيكون بين أيدي البروليتاريا وثيقةٌ فصولها بمثابة قوانين عند ملايين العمال المنظمين في كل أنحاء العالم ومن كل أعراق وأمم الأرض. إنه ليس وثيقة خضوع سلمي للبرجوازية والعيش معها في سلم ذليل. وليس إعلان خزي وانحطاط للوحدة مع البرجوازية، فلا تعني تلك الوحدة سوى المرور إلى معسكر العدو الطبقي وفرارا وخيانة وردة، إنما هو نجم يضيء نضال ملايين المضطهَدين ضد المضطهِدين، نضال الجماهير البروليتارية، نضال الشغيلة من كل لون، أبيض وأصفر وأسود، في المنطقة الاستوائية وفي أكثر نقاط كوكبنا تأخرا، في المصانع والمزارع، في المناجم وسكك الحديد، في الغابات والمدن، في الصحراء وأينما وجد صراع طبقي. إنه برنامج وحدة البروليتاريا ونضال حياة أو موت ضد البرجوازية، إنه برنامج دكتاتورية البروليتاريا العالمية التي لا مرد لها".

وكل فرع من فروع الأممية الشيوعية ملزم بنشر برنامج الأممية الشيوعية بلغة بلاده في صحيفته الرسمية. وأن يكون برنامجه الوطني لا يعارض أبدا برنامج الأممية الشيوعية.

ثم إن ما أقره المؤتمر الشيوعي العالمي السابع من وثائق رسمية لا تتعارض أبدا مع البرنامج الشيوعي. فوثيقة البرنامج الشيوعي هي الأساس النظري والسياسي الذي يجب أن يناضل على أساسه جميع الشيوعيين في العالم أجمع، سواء قامت الفاشية أم لم تقم. وتقدير سياسة الأحزاب الشيوعية لا يمكن أن يكون إلا على قاعدة البرنامج الشيوعي!

والقسم الأخير من ملاحظة الرفيق الشتيوي هو تكرار لما ساقه في أول ملاحظته الجديدة. لكنه أضاف أن الأممية الشيوعية قد توقفت فعلا إثر المؤتمر الشيوعي العالمي السابع (1935) أي قبل تاريخ حلها بقرابة السبع سنوات!!! إننا نرى في ملاحظة من هذا القبيل دليلا على أن صاحبها لا يمكنه أن يتصور الأمر إلا على نحو بناية وجرى غلق بابها وانصرف كل في حاله... لكن سيكون من الشيق جدا أن يقدم لنا علامات التوقف في التاريخ الذي اختار!

كل ما ذكرنا أعلاه، لا يخطر على بال صاحبنا ولو من بعيد. فالغريب والعجيب أن كل من يثيرون أمر حل الأممية الشيوعية مثل صاحبنا لا ينتبهون إلى انسحاب الحزب الشيوعي الأمريكي من الأممية الشيوعية قبل حلها بقرابة العامين!! ولم تعتبره قيادة الأممية الشيوعية حينها حزبا انتهازيا أبدا ولم تعلن مناصبته العداء أبدا! ربما قد يجد صاحبنا أخبارا عن هذه النقطة في صفحة الحزب اليوناني!!!

هذه الأيام وخلال رصد جملة من درر ماو تسي تونغ المتعلقة بتجربة بناء الاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية زمن ستالين، عثرنا على جملة، توجز إحدى فبركات ماو النظرية، لكن رأينا أن ندرجها هنا، بسبب كونها تؤكد أن العلكة التي يمضغها صاحبنا إنما أخذها من فم ماو مباشرة وعلى حالها دون حتى تهذيب. فقد كتب ماو في الصفحة ٣١٧ من المجلد ٥ (وحدة الحزب وتقاليد الحزب) هذه الجملة التي أشهرها صاحبنا كأنما هو اكتشف قارة أمريكا من جديد:

﴿وبما أن الاتحاد السوفيتي كان أول دولة اشتراكية في العالم وخاض الكثير من الأمور لفترة طويلة، كان من المستحيل عليه ألا يرتكب أخطاء.﴾

فيا لحكمة المعلم ماو ويا لنباهة صاحبنا!!!

طبعا. وأكبر الاحتمالات أن الأغلبية الساحقة من عناصر فرقنا الشيوعية لم تقرأ ذلك النص وغيره من نصوص ماو تسي تونغ. وهذا الأمر يدعم نقطتان هامتان ومرتبطتان ببعضهما تماما في

كامل حديثي هنا وهما: أولا، أن ادعاء بعض الفرق أنها قطعت مع الماوية هو ادعاء لا أساس له جملة وتفصيلا. وثانيا، معظم أفكار ماو تسي تونغ لا تزال تمثل محتوى تفكير حتى الفرق التي اعلنت قطيعتها مع الماوية. ولهذا السبب، يحدث، أن تصدر عن بعض عناصر فرقنا أفكارا صيغتها تقترب كثيرا من صيغة ماو نفسه. هذه الظاهرة تدل على مدى تغلغل الماوية في الحركة الشيوعية على مدى عقود بأكملها، وكيف أن قاماتها لم تتصدى للماوية وغيرها من أشكال التحريفية المعاصرة... أكثر من ذلك هنالك ما لا يحصى من المصطلحات غير الشيوعية ذات أصل ماوي تستخدمها فرقنا الشيوعية إلى اليوم حتى أنها تجد في مصطلحات المؤتمر الشيوعي العالمي السادس طلسما غير مفهوم...

ماي 2024